موضوع هذا الكتاب هو الاستعمار الاقتصادي والمالي والفني الذي تعرضت له مصر على يد أوربا منذ عام ١٧٨٩ م الى الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ م بدون التعرض للأحداث السياسية والعسكرية .

وقد جعل المؤلف كتابه في اثني عشر فصلا ، تناول الفصل الأول (أصول النفوذ الأوربي) بداية اهتمام الغرب بمصر وذلك مع غزو بونابرت لها سنة ١٧٩٨ م وتناول المؤلف عزلة مصر عن الغرب وذلك منذ الفتح العثماني ، ثم أثر غزو بونابرت المباشر في الاهتمام بآثار مصر وأن هذه الآثار ظلت تنتهب لمدة تزيد على نصف قرن بدون أية معارضة من الحكومة المصرية ، ولكن مع تقدم علم المصريات بدأ نهب الآثار يتراجع أمام تسجيل ودراسة هذه الآثار ، أما النتيجة غير المباشرة للغزو الفرنسي فكان التغلغل الاوربي عامة والفرنسي خاصة في عهد محمد علي نتيجة لحاجته لانشاء الجيش ، وزيادة الانتاج الزراعي ، ثم تعرض المؤلف لأول بعثة مصرية الى باريس ـ بعثة سنة ١٨٢٦ م .

أما الفصل الثاني (الطريق البري وقناة السويس) فقد تناول فيه المؤلف تحمس محمد علي لتطوير الطريق البري بين الاسكندرية والسويس على أمل ان يؤدي ذلك الى تحسين علاقاته مع انجلترا وتفكيره في امكانية انشاء قناة أو خط حديدي بين القاهرة والسويس ، وقد تجددت فكرة الخط الحديدي مرة أخرى على بريطانيا في عهد عباس .

وقد اتهم المؤلف عباس بأنه لم يكن يملك أي شيء من حماسة جده للتجديد وأنه في خلال الأشهر القليلة من نيابته " أهمل تقريبا جميع الأعمال التي أنشأها الباشا المجوز ، فقد ألغيت المدارس وأوقفت المصانع " .

وقد مات عباس قبل الانتهاء من الخطين بين القاهرة والاسكندرية ، ولكن سعيد أمر بالتزامات عباس ، وفي سنة ١٨٥٥ تم بناء خط القاهرة والاسكندرية ، كما انتهى بناء خط القاهرة السويس في عامين ١٨٥٦ ـ ١٨٥٨ م ، وقد امتدت السكك الحديدية خلال السنوات الأولى من حكم اسماعيل الى الصعيد حتى وصلت الى قنا ، كما أنشئت عدة خطوط فرعية في الدلتا . ثم عرض الكاتب الامتياز الذي منحه سعيد لديلسبس في نوفمبر سنة ١٨٥٤ م .

وتناول المؤلف في الفصل الثالث موضوع (الامتيازات الأجنبية

وقد أوضح المؤلف أنه تحت حماية هذه الامتيازات ومع ظروف نمو التجارة واتساع الأسواق أمام البضائع الأوربية وازدياد فرص الاستثمار أن أخذت الجاليات الأوربية في مصر تتمتع باضطراد حجما وثراء .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

أما الفصل الرابع فتناول فيه المؤلف موضوع (الغزو التجاري والمادي) ودور بريطانيا في انهاء الاحتكار وأن القطن أخذ يباع بحرية نشيطة بالمزاد العلني حسب توصية اللجنة البريطانيين في عهد عباس ، وأنه منذ سنة ١٨٥٤ كانت حلقة الاحتكار القديمة من التجار الأجانب قد تفككت وذلك لمصلحة من من المزارع المصري والمستهلك الأوربي ، وأن ذلك لم يكن في مصلحة الحكومة المصرية .

وتناول المؤلف في الفصل الخامس الخديو (اسماعيل) وأوضح مظاهر الترف من بناء القصور وانشاء دار الأوبرا وحمامات حلوان وأن هذه المظاهر اجتذبت أعداد متزايدة من الأوربيين سواء للسياحة أو للأعمال التجارية .

أما الفصل السادس (اسماعيل المضارب) فيعتبر المؤلف أن أهم مضاربات اسماعيل هي الخاصة بشركة قناة السويس كما أنه ضارب بأقطاعياته الخاصة .

وتناول المؤلف في الفصل السابع موضوع (امبراطورية اسماعيل الافريقية) وشمل الفصل التوسع المصري في البحر الأحمر وخليج عدن منذ سنة ١٨٦٦ ، وتأسيس محافظة مسوسة في منطقة الساحل الشرقي لأفريقيا من السويس الى رأس غردفوي ، ثم تعرض المؤلف لاحتلال بربرة وكذلك لاتفاقية تجارة الرقيق بين مصر وبريطانيا ثم الحرب الحبشية وهزيمة مصر ، وأن بقي مركز مصر في مصوع وفي الساحل الصومالي وفي هرر كما هو دون تغيير .

أما الفصل الثامن (مساعي اسماعيل للاستقلال) فأوضح فيه المؤلف أن هذه المساعي كللت بفرمان يونية سنة ١٨٧٤ والذي حقق له كل آماله .

وتناول المؤلف في الفصل التاسع (التقدم الى الخلف) موضوع ديون اسماعيل واستمراره في الاستدانة بقروض جديدة قصيرة الأجل ، كانت تولد بمرور الزمن ضغوطا متزايدة لعقد قرض أجنبي آخر لتسديدها مع عدم بذل أية محاولة للحد من المصروفات بحيث تتناسب مع الدخل الباقي بعد دفع أقساط الديون الواجبة السداد .

أما الفصل العاشر فموضوعه (المحاكم المختلطة ، وقد ذكر المؤلف أن أول محاولة حقيقية لمعالجة فوضى النظام القضائي الأجنبي جرت على يد نوبار وزير الخارجية في سنة ١٨٦٧ ، ثم تناول المحاكم المختلطة والتي بدأت عملها في فبراير سنة ١٨٧٦ .)

وتناول المؤلف في الفصل الحادي عشر (يوم الحساب) بحثة كيف ، وأن غرض اسماعيل من طلب البعثة اثارة فرنسا من بريطانيا للحصول على المساعدة المالية سواء من فرنسا أو انجلترا ، وتعرض الفصل لتقرير كيف ثم مشروع جبوش وجيير الاصلاح مالية اسماعيل ثم وزارة

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

نهار وحادثة ١٨ فبراير ثم وزارة شريف •

أما الفصل الأخير (الضربة القاضية) فيستعرض فيه المؤلف محاولة شريف اقناع توفيق باصدار الدستور واستقالته ثم وزارة رياض وصدور قانون التصفية ثم وزارة شريف واستدعائه مجلس شورى النواب واصرار الأعضاء على ضرورة اشراف المجلس على الجزء من الميزانية المخصص للدين ورفض انجلترا وفرنسا لذلك •

ثم تناول المؤلف موضوع مذبحة الاسكندرية وضربها والاحتلال البريطاني لمصر •

اختار جون مارلو عنوانا لكتابه تاريخ النهب الاستعماري لمصر ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢ ورغم عرضه الطيب للموضوع الا أنه اهتم اهتماما واضحا بمصر اسماعيل وأفرد لذلك أكثر فصول الكتاب (من الخامس الى الحادي عشر) والكتاب في الحقيقة يمكن أن يكون تاريخا للنهب الاستعماري لمصر في عصر اسماعيل • أما الفصول الأولى والفصل الأخير فيمكن أن تكون مقدمة وخاتمة لهذا الكتاب •

وقد اعتبر المؤلف الفصل الأول أن اعتماد محمد علي على الأجانب عامة وعلى الفرنسيين خاصة نتيجة غير مباشرة للغزو الفرنسي على يد بونابرت • وذلك نتيجة لحاجة محمد علي لانشاء الجيش وزيادة الانتاج الزراعي • ثم تعرض الكاتب لأول بعثة مصرية الى باريس وهي بعثة سنة ١٨٢٦ (١) •

ونود أن توضح أن محمد علي أنشأ المدارس على غرار مدارس أوربا وكانت مصر هي أول دولة شرقية بدأ فيها نظام غربي منظم للتعليم (٢) • وجلب لها الأساتذة من هناك وساق المصريين عنوة للتعليم في هذه المدارس • ولكنه وجد رغما من ذلك أنه لا يمكن الاستغناء عن المدرسين الأجانب في مصر • ففكر في الحل الذي يضمن لهم الاستقلال العلمي لبلاده • ومن هنا نشأت فكرة البعوث العلمية • وكان محمد علي يرسل تلك البعوث الى جميع البلاد الأوربية (٣) ليتم الاستفادة من تقدم هذه البلاد • ولم يهتم محمد علي بما يصرف على هذه البعوث ليضمن الاستقلال العلمي لبلاده (٤) •

---

(١) جون مارلو : ترجمة د • عبد العظيم رمضان : تاريخ النهب الاستعماري لمصر ص ٢١ ـ ٢٥ •

(٢)

(٣) علي مبارك : الخطط التوفيقية • الجزء الأول ص ٨٨ •

(٤) أمين سامي : تقويم النيل • الجزء الثاني ص ٥٩٦ •

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

وقد ذكر مارلو أن أول بعثة مصرية كانت في سنة ١٨٢٦ • ولكن الحقيقة أن محمد علـى أرسل بعوثه في وقت مبكر عما ذكره مارلو • فقد غادرت أولى البعثات مصر الى ايطاليا سنـة ١٨١٣ • ووزع أعضاء هذه البعثة بين ليفورن وميلان وفلورنس وغيرهـا (١) • ثم تحول نظـر محمد علي من ايطاليا الى فرنسا • ويرجع السبب في ذلك أن محمد علي اعتمد في تنظـيم قواته على عدد من العسكريين والبحارة والمهندسين الفرنسيين (٢) • وأرسلت أول بعثة الى فرنسا سنة ١٨١٨ ثم بعثة اخرى سنة ١٨٢٦ (٣) — وهي التي ذكرها مارلو •

وقد اهتم مارلو عباس في كتابه في الفصل الثاني بالغاء المدارس • ولكن الحقيقة أنـه كانت هناك مدارس قائمة في عصر عباس (الهندسخانة وما لحق بها) رغم اغلاق بعض المدارس الموجودة (٤) • وكان لعلي مبارك دور نشط خلال تلك الحقبة من الزمـن •

ويلاحظ أن المؤلف في الفصل الثالث الخاص بالامتيازات الأجنبية قد بعد عن الحقيقـة عندما ذكر أن " القناصل البريطانيين على وجه العموم قد أثبتوا أنهم يتمتعون بعقلية قانونية فوق ما يتمتع به بعض زملائهم " (٥) • وساق أمثلة على ذلـك وقد أجمع المؤرخون تقريبا على أن معظم الدعاوى كانت باطلة وأن القناصل كانوا يؤيدون رعاياهم • ولعل ما ذكره مارلو نفسه به الدعاوى الصارخة التي لا يمكن قبولهـا •

وقد كان المؤلف صريحا في الفصل الرابع عندما وصف التدخل البريطاني الاقتصـادي والاستعماري في شئون مصـر (٦) • وقد مال المؤلف في الفصل الخامس ترف اسماعيل واقامته الحفلات بأنه " في وسط كل هذه الحفلات والولائم كان يجهد نفسه عادة في العمل • فيعقد المقابلات مع رجال أعمال • ويتفاوض مع الدبلوماسيين للحصول على تأييد أوربا في مفاوضاته مع القسطنطينية • من أجل مزيد من الاستقلال • وللتأثير على دائنيه الاصليين وعلى غيرهم ممن يحتمل الاستدانة منهم • بثروته الواسعة — وفي ذلك فهمنا كانت ديونه تتزايـد •

---

(١) محمـد فؤاد شكري : بناء دولة مصر محمد علي ص ١٠١ •

(٢)

(٣) عبر طوسون : البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد ص ١١ ، ١٢ •

(٤) علي مبارك : الخطط التوفيقية الجزء التاسع ص ٤٥ •

(٥) جون مارلو : ترجمة د • عبد العظيم رمضان • تاريخ النهب الاستعماري لمصـر ص ١٠٣ — ١٠٤ •

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com

كان اسرافه فى اقامة الولائم والحفلات يتزايد بدوره " وهذا تفسير مقبول من المؤلف فمن المعروف ان اسماعيل عاش حياة متزنة ولا يمكن قبول هذا الرأى من أنه كان وسط تلك الحفلات كان يقوم بالأعمال الرسمية كذلك القول بأن الحفلات كانت للتأثير على داننيه قول مرفوض أيضا لعلم أوربا بخروق اسماعيل فى الديون .

وقد تعرض المؤلف لحادثة ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ . بصورة غامضة لاتبين أهميتها وأنها أول عصيان عسكرى . وترتب عليها سقوط الوزارة الأوربية .

أما الفصل الأخير فقد تبنى المؤلف وجهة النظر الاستعمارية عندما أرجع مذبحة الاسكندرية الى فوضى التعصب بغض الجانب . والحقيقة أن الأجانب كانوا على كانب كبير من التعصب ضد الوطنيين (٢) . ونظرة استعمارية أيضا تعرض ما رلو لموضوع تجديد طوابى الاسكندرية فان كل ماكان يهم الحكومة البريطانية حقيقة هو حرية المرور فى قناة السويس ولا شك أن الاحتلال لم يكن سبب التعصب المصرى ولا خشية الدكتاتورية العسكرية ولكن الاستعمار يستنزف الشعوب حتى يقهر بدماء أبنائها ...

---

(١) المرجع السابق : ص ١٥٥

(٢) سليم خليل نقاش : مصر للمصريين الجزء الخامس ص ٤

. أنور زفلسه : الثورة العرابية ص ٧١ .

This PDF was created using the Sonic PDF Creator.
To remove this watermark, please license this product at www.investintech.com